د.سليمان معرفي

د. سليمان معرفي مؤلف «في علوم القرآن»: رداءة مخرجات التعليم صعبت على طلبة العلم التعامل مع المراجع القديمة وأمهات الكتب

أكد الأستاذ في قسم التفسير والحديث ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت د. سليمان معرفي على ضرورة تعلق طلبة العلم بالمراجع الإسلامية الكبيرة وبأمهات الكتب، حيث فيها العلم الغزير والفوائد الجمة، مشيرا إلى أن أساتذة الكلية يحرصون على ذلك عبر تكليفهم الطلبة بعمل تقارير وبحوث شرعية تستعين بشكل أساسي بالمراجع القديمة.

وأوضح معرفي في لقاء مع «الأنباء» أن مؤلفه «في علوم القرآن» عبارة عن أساسيات لدراسة علوم القرآن لا يستغني عنه من أراد دراستها، وقد حرص أن يكون سهل العبارة قريبا إلى فهم القارئ البسيط، مبتعدا فيه عن كثرة الخلاف والأقوال بين المفسرين، لافتا إلى أن الكلية رعت الكتاب مشكورة وقامت بالإشراف على طباعته وتقرير دراسته في منهج الكلية.

وأضاف أن الكتاب خرج ليسهل على الطلبة فهم علوم القرآن بعدما أصبحت عودة الطلبة إلى أمهات الكتب صعبة وليست كالسابق، نظرا لرداءة مخرجات التعليم وضعف الهمة وقلة مجالس العلم المتخصصة، وفيما يلي نص الحوار:

حدثنا عن كتابك «في علوم القرآن» بإيجاز؟

هذا الكتاب عبارة عن مدخل لدراسة علوم القرآن، لا يستغنى عنه من أراد دراستها، قد حرصت أن يكون سهل العبارة، قريبا إلى فهم القارئ وابتعدت فيه عن كثرة الخلاف والأقوال ليناسب أن يكون مدخلا لعلوم القرآن.

أصول التفسير

لكن ما هي علوم القرآن؟

علوم القرآن هي مجموعة المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ونحو ذلك، وعلوم القرآن هي الأدوات التي يحتاجها المفسر في تفسير القرآن ويمكن تسميتها بأصول التفسير.

أقرب للفهم

لكن كما هو معلوم المؤلفات في هذا الباب كثيرة، فما هو سبب تأليفكم لهذا الكتاب الجديد؟

قد كان هناك كتاب مقرر سابقا قبل ذلك لأحد المدرسين، وكان يحتوي المراجع القديمة مثل الإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي وغيرها من الكتب الحديثة المعاصرة، لكني أحببت إخراج كتاب يكون أقرب إلى فهم الطلاب ليخدم المقرر ومحتوياته، فبحكم تدريسي للمقرر عدة مرات، كما هو معلوم مقرر أساسي لطلبة الشريعة خاصة طلبة أصول الدين، بالأخص طلبة التفسير، رأيت مستوى الطلاب وعرفت ما يناسبهم فحاولت أن أخرج كتابا يحقق ذلك، وليس فيه بعد عن المصادر الأصلية، فكما هو معلوم كل من ألف في أصول القرآن لابد له أن يرجع إلى البرهان والإتقان.

فعملت الكتاب من خلال تجربتي وتدريسي ومن خلال الرجوع لعدة مصادر حديثة وقديمة، ولا اقتصر فيه على كتب علوم القرآن بل أذهب أحيانا إلى كتب التفسير وإلى كتب العقيدة وإلى كتب الحديث، واستفدت كثيرا من كلام شيخ الإسلام بن تيمية في «مقدمة التفسير» وشرح العلامة ابن العثيمين عليه عبر أشرطته رحمه الله.

فمع الأسف الشديد أن طلبتنا اليوم تعاملهم مع الكتب القديمة أصبح تعاملا صعبا، ولعل ذلك بحكم مخرجات التعليم وقلة القراءة وقلة تعاملهم مع كتب العلم التي هي الأصول والأمهات، وكذلك لقلة المجالس العلمية وندرتها.

وأخرجت الكتاب بعدما كان في السابق في مذكرات، وقدمته للقسم فوافقوا عليه بعدما عرض على لجنة المناهج، ثم رفع إلى لجنة النشر العلمي في الجامعة وأعطوه محكمين خارجيين وأقروا الكتاب وطبعته الجامعة بعد ذلك، فهو كتاب يعتبر مدخلا أساسيا لكل من يريد أن يتعرض لتفسير القرآن.

أمهات الكتب

لكن ألا ترى أن تقرير كتب حديثة للتدريس في الجامعات أو تأليف كتب جديدة عموما في هذا الباب سيسبب عزوف طلبة العلم الجدد عن الرجوع إلى أمهات الكتب؟

يجب علينا أن نعلقهم بأمهات الكتب والمراجع، ولذلك نحن نكلف طلبتنا بواجبات وهي ما نسميها بالتقارير أو البحوث ونشترط عليهم أن تكون مراجع البحث أو التقرير من أمهات الكتب الكبار، ليذهب الطلبة بعد ذلك ويبحثوا فيها فيها ويطلعوا.

مراحل التفسير

حدثنا عن تاريخ علوم القران ومراحل التفسير؟

مر تاريخ علوم القرآن بعدة مراحل مختلفة، أولها عهد ما قبل التدوين وهو عهد النبوة وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم عهد التمهيد لتدوين علوم القرآن وهو عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما وبني أمية وذلك حين اتسعت رقعة الإسلام، فجمع عثمان المسلمين على مصحف واحد، وأمر علي أبا الأسود الدؤلي بوضع قواعد النحو صيانة للنطق.

وفي القرن الثاني بدأ تدوين الحديث بأبوابه المتنوعة وشمل بذلك ما يتعلق بالتفسير، وبدأت المؤلفات تتناول نوعا من علوم القرآن كل على حدة، حتى دخل القرن الخامس الهجري وبدأ أول ظهور اصطلاح علوم القرآن إلى يومنا هذا.

ومراحل التفسير إذن كانت على ثلاث مراحل، أولا بدأت بالنقل عن طريق التلقي والرواية، ثم دون على أنه باب من أبواب الحديث، ثم دون على أنه علم مستقل منفرد، ثم تتابع التأليف بالتفسير.

للتحدي والإعجاز

ما الحكمة من نزول القرآن منجما اي على مراحل ولم ينزل جملة واحدة؟

أولا تثبيتا لفؤاد النبي ﷺ، قال تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)، فتكرار نزول القرآن يشعره ﷺ بالعناية الإلهية مما يبعث السرور والانشراح، كما أنه يهون الشدائد والخطوب.

ثانيا فيه التحدي والإعجاز، فنزول القرآن منجما في إظهار لعجز المعارضين حيث كان يتحداهم بأن يأتوا بمثله فكانوا يعجزون في كل مرة، ثالثا فيه تيسير حفظه وفهمه خاصة أنه نزل على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة، ورابعا أن فيه مسايرة للوقائع والحوادث كإجابة للسائلين وتصحيح لأخطاء بعض المسلمين.

أسباب النزول

نرى دائما عناية أهل التفسير بدراسة أسباب النزول، فما السر في ذلك؟

لأنه بمعرفة سبب النزول تتحقق لنا معرفة الحكمة التي دعت إلى تشريع الحكم ورعاية مصلحة العباد في علاج الحوادث، وأيضا يمكننا الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، وسبب النزول يعين على معرفة من نزلت فيه الآية حتى لا تحمل على غيره بدافع الخصومة والتحمل، لذا قال الواحدي «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا «معرفة سبب النزول يتعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

والعلاقة وثيقة بين علمي التقسيم وأسباب النزول، وهما علوم القرآن.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم بملازمتهم للنبي ﷺ ومعاصرتهم لنزول الوحي نابغين في هذا العلم وهم الذين ارسلو دعائمه ووضعوا قواعده الأساسية.

وهنا لابد من التنبية إلى أهمية فهم السلف أذ لا يمكن فهم الدين ومقاصده إلاعن طريق فهمهم إذا فيهم نزل القرآن وهم أدرى بمعانيه ومقاصده.

شهر رمضان شهر القرآن وزيادة الإيمان، شهر تغلق فيه أبواب النيران وتفتح فيه أبواب الجنان، شهر يتمنى فيه كل مسلم أن يُختم له فيه بالتوبة والغفران، وأن يكون ممن يدخلون الجنة من باب الصائمين، باب الريان، ففي هذه الأيام المباركة ينكب المسلم على قراءة القرآن تلاوة وتدبرا، وعلى استثمار الوقت في كل ما هو نافع في نهار هذه الأيام المعدودة والتهجد في لياليها، لكن ما إن يمضي يوم أو يومان حتى تفتر الهمة ويخور البدن ويركن إلى الكسل والخمول، فيفوته الخير الكثير في شهر الخير، وإيمانا من جريدة «الأنباء» بضرورة أن تكون بين يدي القارئ نماذج حية تبعث في النفس الهمة والقوة على الاستمرار في استغلال الأوقات في قراءة كل ما هو نافع، فلقد خصصت صفحة إيمانية تتضمن لقاءين موجزين مع قارئ للقرآن ومؤلف وكتاب من أهل الكويت.

العسعوسي: هل يعقل أن يعطى «مغن» 50 ألف دينار في حفلة ويمنح حافظ القرآن كله 3 آلاف دينار!

لم تكن دراسة الهندسة حجر عثرة في طريقه لإتمام كتاب الله حفظا وتجويدا وأداء، حيث أتم القارئ داود العسعوسي حفظه في السنة الثانية في الكلية، أحب مشاركة أبنائه في المنافسات المباركة، في مسابقات القرآن الكريم، وقام بتشجيعهم لحفظ القرآن ورعايتهم، امتثالا لقول المصطفى ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، كما حصل على المركز الأول في مسابقة صاحب السمو الامير «الكويت الكبرى» لمستوى الثلاثين جزءا.

وأكد العسعوسي ـ في لقائه مع «الأنباء» ـ أن مقررات المدرسة في حفظ بعض أجزاء القرآن كان لها الأثر الكبير في بداياته، مشيرا إلى أن الله قد من عليه بقوة الذاكرة التي يسرت له إتمام القرآن بعد ذلك، وتابع أن للوالدين دورا كبيرا في رعاية أولادهم عبر توجيههم إلى حلقات القرآن في المساجد، مؤكدا أنه ليس هناك ما يفخر به الوالد بولده مثل حفظه للقرآن.

مسجد الشيخ داود العسعوسي هو مسجد الإمام أحمد في منطقة الفيحاء، حيث يكتظ بالمصلين في ليالي رمضان وغيرها، لتطرب آذانهم بسماع ختمة القرآن كاملة بقراءة متأنية مجودة وبصوت رخيم يأسر القلوب، وفيما يلي نص الحوار:

ما المسابقات الدولية والمحلية التي شاركت فيها في حفظ القرآن الكريم؟

على المستوى المحلي شاركت في مسابقة الكويت الكبرى «مسابقة الأمير الثالثة»، وحصلت فيها على المركز الأول في القرآن كاملا، وكان من أعضاء لجنة التحكيم مشايخ كبار كالشيخ المغاوري والحبوس، وبحمد الله من المشاركة الأولى ودون تدرج في مستويات المسابقة حصلت على هذا المركز المتقدم.

وكذلك شاركت في مسابقة الخرافي وحصلت على المركز الأول أكثر من مرة، وفي العام الماضي أيضا شاركت في مسابقة الحساوي، ولكوني لم أهتم بالمشاركات في مثل هذه المسابقات المباركة إلا في وقت متأخر من عمري لم يتسن لي المشاركة في المسابقات الدولية الخارجية والتي تشترط عمرا محددا.

الرياء والمسابقات

البعض يجعل من خوفه من الرياء سببا للعزوف عن مسابقات القرآن الكريم وعدم المشاركة فيها ويراها تمس جانب الإخلاص، فما رأيك في ذلك؟

لا أعتقد أن للرياء أثرا في المشاركة، فهذه المسابقات هي من قبيل المنافسات والمغالبات المشروعة، وتعتبر بابا للتشجيع ومعرفة الحفاظ، فالبعض يعتبرها وسيلة لمراجعة الحفظ، فيدخل الاختبار ويسأل عن المتشابه من القرآن، وهذه بلا شك فائدة للمشارك، فأنا كنت أشارك مع أولادي وأحثهم وأقول لهم «سأتغلب عليكم» وأتنافس معهم، وأمر النيات عند رب العالمين، فإن كان نية المشارك فقط المال فالأولى ألا يشارك، فهذا بلا شك خطر على دينه.

والإنسان المشارك عموما في هذه المسابقات لا أظن أنه تهمه الأموال سواء أتت ناقصة أو زائدة، فالكثير لا يفكر بالمال أصلا، ولو منعنا الناس لهذا السبب فلن نجد من يشارك في المستقبل، ولن يكون لهذه المسابقات أي دور، بل نحن على العكس من هذا نحاول نصح القائمين على المسابقة لزيادة قيمة المكافأة النقدية، فأحدهم مع الأسف توضع له حفلة ليغني فيعطى 50 ألف دينار، في حين آخر يحفظ القرآن كاملا فيعطى 3 آلاف دينار، فليس هناك مقارنة.

حفظ المدرسة

لكل حافظ للقرآن طريقته الخاصة التي أثمرت معه وناسبت قدراته وظروفه، فحدثنا عن أفضل الطرق التي اتبعتها في حفظك.

الحمد لله أن منّ الله علي بذاكرة قوية، حتى في شهر رمضان لا أحتاج إلا إلى مراجعة يسيرة، ورغم أن وردي قليل إلا أني اعتدت الختم في كل رمضان، وأكثر وأول ما أفادني في ذلك هو حفظ المدارس، فكل جزء أحفظه في مراحل الدراسة لا أنساه، حتى صارت بقية الأجزاء علي بعد ذلك أسهل.

وختمت القرآن وأنا في السنة الثانية من جامعة كلية الهندسة والبترول، وعملت على ذلك الإمام الشاطبي وابن الجزري وسائر العلماء، فالأولى الالتزام بذلك، نعم الدراسة النظرية فرض كفاية، لكن تطبيقه فرض عين، خاصة إذا كان في القراءة لحن جلي.

والنص الشرعي في ذلك واضح، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي جوده الألباني، وذلك حين قرأ أمام ابن مسعود آية مصارف الزكاة في سورة التوبة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها..)، فلم يمد القارئ كلمة «الفقراء»، فأوقفه ابن مسعود وقال له اقرأها (للفقرااء) هكذا قرأه النبي ﷺ ومدها ستا، لذلك فالألباني يرى بوجوب التجويد.

وفعلا يعاب على السلفيين تقصيرهم في هذا الجانب، حيث يكون اهتمامه بالتجويد ضعيف جدا، فليس المراد فقط الحفظ والسرد إنما أيضا ترتيل القرآن وتجويده، فلن تجد لذة للقرآن إلا مجودا.

مسؤولية الآباء

هل من نصيحة وتوجيه للآباء في أهمية تشجيع أبنائهم لحفظ كتاب الله؟

إن من أعظم وصايا القرآن وصية لقمان الحكيم لابنه، فعلى الوالدين الصدق في نصح أولادهم، فالأولاد رعية وهم تحت أمانتك أيها الأب، فليس هناك أولى من تربية الولد على كتاب الله عز وجل حفظا وتلاوة وتخلقا، وليس هناك أفضل من تربية الأولاد على منهج الكتاب والسنة.

ومن يقرأ تراجم السلف الصالح يجد أنهم لم يتجاوزوا الست سنوات حتى أتموا حفظ القرآن كله.

ثانيا هل هناك ما هو أفضل من حفظ القرآن؟ فإذا لم تعلم ابنك القرآن فماذا ستعلمه إذن؟ علمه للدين والدنيا، فإن أردته دكتورا فليس هناك مانع من أن يحفظ القرآن، وإن أردته مهندسا فلا حرج أن يحفظ القرآن أيضا، فلا يضرك أن تجمع بين خيري الدنيا والآخرة، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ يقول «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، فجعل الله الخيرية مشروطة بالتعلم والتعليم أيضا.

القارئ داود العسعوسي